الحوار في شعر الشريف الرضي دراسة تحليلية

المدرس المساعد نوال مطشر جاسم
وزارة التربية / قسم التعليم المهني في الرصافة الثانية

(مُلَخَّصُ البَحث)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الأطهار خير الورى ، وعلى أصحابه الغر النجباء .

وبعد :

الشريف الرضي ، شاعرٌ عبقريٌّ ، وعلمٌ من أعلام البيان العربي ، شغل مكانة متميزة بين شعراء عصره ، كونه فناناً ومفكراً وإنساناً ، وقد تناولته العديد من الدراسات الأدبية ، وأتت بالشيء الكثير عن الشاعر ونتاجاته ، إلا أن هذه الدراسة لم يسبق إليها أحد ، حاولت الباحثة عن طريقها الوقوف عند عنصر الحوار في شعره بعد أن أحصت ألواناً مختلفة من الحوار فيه ، لذا جاء اختيار البحث الموسوم بـ (الحوار في شعر الشريف الرضي _ دراسة تحليلية _) للوقوف عند أنواع الحوار الواردة في شعره وتحليلها ، ومعرفة مدى حضور تقنية الحوار عند الشاعر.

وجاءت الدراسة على تمهيد ومبحثين ، تناولت الباحثة في التمهيد مفهوم الحوار وحياة الشاعر ، وتناول المبحث الأول الحوار غير المباشر ، أما المبحث الثاني فقد تضمن الحوار المباشر ، وفي نهاية البحث جاءت نتائج الدراسة .

المقدمة

أولاً : مفهوم الحوار

الحوار في اللغة : "**الحَوَرُ: الرُّجُوعُ عن الشيء وإلى الشيء ، حَارَ إلى الشيء وعَنْهُ حَورًا ومَحارًا ومَحارةً وحَؤورًا: رَجَعَ عنه وإليه**"[١]. والحوار بذلك يعود إلى (حَوَر) والى (المُحَاوَرَة) ، بمعنى المُجَاوَبَة ، وهذا المعنى اللغوي هو الأقرب إلى المعنى الاصطلاحي ، فالحوار بمفهومه الاصطلاحي هو : "**حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات ، أو هو كلام بين الأديب ونفسه ، أو من ينزله مقام نفسه** " [٢].

ويعد الحوار من أهم العناصر السردية ، ولا يشترطُ أن يجرى الحوار بين شخصين اثنين فقط ، بل يمكن أن يكون بين مجموعةٍ من الأشخاص ، أو قد يكون بين الشخص ونفسه ، أو أي كلام دائرٍ في النص تقع عليه مسؤولية نقل الحدث من نقطة إلى أُخرى ، داخل النص السردي .[٣] وإن الحوار ليس هو :

"**الأسلوب الفردي المختص بالسارد ، وإنما هو أحد الأساليب التي يتقمصها الراوي أو شخصياته للتعبير عن واقعية الحياة** "[٤].

ومن ضروريات الحوار أن يكون قصيرًا ، موجزًا ، محكمًا، بلا فضول، وأن ينساب بلغة سلسة واضحة ، إذ يُعَدُّ الحوار السلس المتقن: "**من أهم مصادر المتعة في القصة، وبواسطته تتصل الشخصيات ببعضها اتصالاً صريحًا مباشرًا، وبهذه الوسيلة تبدو لنا، وكأنها تضطلع حقًّا بتمثيل مسرحية الحياة . والحوار المعبر الرشيق سببٌ من أسباب حيوية السرد وتدفقه.. وعلى الكاتب المحايد أن لا يُقحم نفسه بتعليق أو تعقيب، وأن يدع الشخصية تتكلم وتبث عواطفها وأحاسيسها فهي الوسيلة الأوثق صلةً بالحياة، والأصدق تعبيرًا عن النفس الإنسانية** "[٥].

ثانياً : التعريف بالشاعر

هو مُحَمَّد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن العلوي ولد سنة (٣٥٩هـ) ، ولقبه بهاء الدولة بالرضى ذي الحسبين ، كان نقيب الطالبيين في بغداد ، كان عالمًا فاضلاً وشاعرًا مترسلاً عفيفًا عالي الهمة متدينًا[٦] . بدأ التعلم من عمر العاشرة على أكابر علماء عصره كالسيرافي ، والشيخ المفيد ، والكربعي ، وابن جني ، والخوارزمي[٧] .

عرف بفنون الأدب المختلفة من مدح ورثاء وفخر وحماسة وغزل وزهد وحكمة ووصف ، له العديد من المؤلفات منها : تلخيص البيان عن مجازات القرآن ومجازات الآثار النبوية ، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل ، ونهج البلاغة ، وخصائص الأئمة ، وسيرة والده الطاهر وغيرها ، له ديوان شعر ضخم ، إذ اعتنى بتقييد شعره وجمعه [٨] . توفي الشريف الرضي سنة (٤٠٦هـ) ، وشهد جنازته الكثير من الناس[٩] .

الدراسة

مما لا شك فيه أن للحوار أهمية خاصة في النص الشعري كونه يشكل نافذةً يلج من خلالها الشعر من الذاتية المطلقة إلى الموضوعيّة ؛ لما يتمتع به من أساليب تلائم التعبير عن الأفكار في القصيدة[١٠]، فضلاً عن تجاوزه المتحاورين إلى طرف ثالث هو المتلقي ، وهذا يخرجه عن صفة الكلام اليومي الذي يحدث بين اثنين فيكتسب حدّاً وظيفيّاً جديداً في النتاج الأدبي ، إذ يكشف عن طبيعة الشخصية وموقفها وشرح الحدث وتطويره [١١] .

وفي ضوء استقراء ديوان الشاعر الشريف الرضي رصدت حضور نوعين من الحوار في نتاجه الشعري ، وهما :

١ _ الحوار غير المباشر الحر (المونولوج الداخلي)

٢ – الحوار المباشر المتناوب (الحوار الخارجي)

وسوف نوضح النوعين عن طريق الوقوف عند النصوص الشعرية وتحليلها .

المبحث الأول

الحوار غير المباشر الحر(المونولوج الداخلي)

ويراد به الحوار الحاصل في حديث الشخصية عن ذاتها بنحوٍ غير مسموعٍ ولا ملفوظ ؛ لأن الشخصية تتحدث مع نفسها وتحكي أفكارها الداخلية ، فتكون فيه أقرب إلى اللاوعي . فالمونولوج هو: "**ذلك التكنيك الذي يستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية من دون التكلم على نحوٍ كلي أو جزئي ، فالشخصية في تلك اللحظة التي تمارس فيها التفاعل النفسي تعيش في المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود** "[١٢]. فالحوار هنا يكون من داخل النفس البشرية لتكلم الشخصية مع ذاتها وهي تحاول أن تجعلها مُحاورة تامة تقرب الفكرة وتوضح ما يدور في النفس من خواطر بأسلوبٍ حواري .

ويأتي هذا النوع من الحوار في النص الذي يرى فيه الشاعر حاجة إلى محاورة ذاته، وذلك بسبب أزمةٍ نفسيّةٍ حادةٍ أو صراعٍ شعوري ألمّ به، ناشئٌ من فقد عزيزٍ أو رحيل حبيبٍ؛ فيحاول أن يقدمها على دفعات ونفثات شعورية متمركزة في وعيه الخاص ، فهو حوار فردي يعبر عن كوامن النفس الداخليّة [١٣]، ولهذا يأتي على نحو صامت ومكتوم في ذهن الشخصية ، فضلًا عن أنه يتسم بالتلقائية والعفوية بالنسبة للمتلقي[١٤]، فهو " **حوار فردي داخلي تجريه الشخصية في داخلها، بينها وبين نفسها عن تجربتها الباطنية التي تشغلها ، وغالباً ما تكون انعكاساً لحالة أو موقف مرت به تلك الشخصية** "[١٥].

وعن طريق استقراء ديوان الشاعر الشريف الرضي رصدنا عددًا من النماذج الشعرية التي كان للحوار الداخلي حضور متميز فيها من ذلك قوله [١٦] : (من الطويل)

أمَانيُّ نَفْسٍ مَا تُنَاخُ ركَابُها وَغيْبَةُ حَظّ لا يُرَجىّ إيابُهَا

وَوَفْدُ هُمُومٍ مَا أقَمْتُ بَبلدَةٍ وَهُنّ مَعي ، إلاّ وَضَاقَتْ رِحَابُهَا

وَآمَالُ دَهْرٍ إنْ حَسِبتُ نَجاحَها تَرَاجَعَ مَنْقُوضاً عَليّ حِسَابُهَا

أهُمّ ، وَتَثْني بالمَقادِيرِ هِمّتي وَلا يَنْتَهي دَأبُ اللّيَالي وَدابُهَا
فَيَا مُهْجَةٌ يَفنَى غَليلاً ذَمَاؤهَا وَيَا لِمّةً يَمْضِي ضَيَاعاً شَبَابُها

فنجد الأبيات تفصح عن حوار داخلي يستعمله الشاعر ليصف عن طريقه للمتلقي هموم نفسه ونوازعها وحزنها ، ويبث عن طريقه شكواه وألمه وخيبة رجائه وحسرته . ومنه قوله[١٧] : (من الخفيف)

صَارَ دُرُّ الدّمُوعِ يَخلُفُ ثَغرِي في حَوَاشِي تِلكَ الخُدودِ الرّقاقِ
عَزّ صَبرِي يَوْمَ اللّقاءِ وَلكِنْ فَضَحَتهُ الأشجانُ يَوْمَ الفِرَاقِ
ياعَرِيقَ الهَوَى ستَقضِي إذا مَا طَلَعَ البَيْنُ مِنْ ثَنَايَا العِرَاقِ
يَوْمَ لا غَيرَ زَفْرَةٍ مِن فُؤادٍ ذِي قُرُوحٍ وَرَشّةٍ مِنْ مَآقِ

فنجد الحوار هنا داخلي يعبر به الشاعر عن ذاته في دلالة نفسية صادقة تحمل حرارة المشاعر ، وهو يجسد صورة اللقاء والفراق بين الأحبة ، فالشاعر يعبر عن مشاعره الذاتية التي يصعب إخفاءها اتجاه وطنه الحبيب . وفي نص آخر ينبض بالحوار الداخلي والمناجاة الداخلية في قوله[١٨]: (من الخفيف)

أيُّ عِيدٍ مِنَ الهَوى عادَ قَلبي بعدَما جَعجَعَ الدّجَى بالرّكْبِ
لَوْ دَعَاني مِنْ غَيرِ أرْضِكَ داعٍ لغَرَامٍ لَكُنْتُ غَيرَ مُلَبّي
أيْنَ ظَبيٌ بذِي النّقَا يُوقِدُ النّا رَ عِشَاءً بالمَنْدَليّ الرّطْبِ
كُلّمَا أخْمِدَتْ زَهَاهَا بضَوءِ الـ حُسنِ مِن جِيدِهِ وَضَوْءِ القَلبِ
سَكنَ الهَضْبَ مِنْ قَبَا فوَجَدنا أثَراً للهَوَى بذاكَ الهَضْبِ
لَيْتَ أحبَابَنا ، وقَدْ أشرَقُونَا سَوّغُونَا بَرْدَ الزّلالِ العَذْبِ

فلو نظرنا إلى الأبيات نجد الشاعر يحاور ذاته بمناجاة داخلية مستفهما عن المحبوبة مشاركا معه الطلل وهو يتساءل عنها ، متذكراً رائحتها العطرة التي ما زالت تمل المكان وكأنها عود الطيب الذي لا زال ينشر رائحته الزكية .

وفي نص آخر يقول[١٩] : (من الطويل)

أقُولُ وَقدْ جازَ الرّفاقُ بذِي النّقَا وَدُونَ المطَايَا مُرْبَخٌّ وَزَرُودُ
أتَطْلُبُ يا قَلْبي العِرَاقَ من الحِمَى لِيَهْنَكَ مِنْ مَرْمىً عَلَيْكَ بَعيدُ
وَإنّ حَدِيثَ النّفْسِ بالشّيءِ دُونَهُ رِمَال النّقَا مِنْ عالجٍ ، لَشَديدُ
تَرَى اليَوْمَ في بَغدادَ أنديَةَ الهوَى لها مُبْدِىءٌ مِنْ بَعدِنَا وَمُعِيدُ
فمِن وَاصفٍ شوْقاً وَمن مُشتكٍ حشاً رَمَتْهُ المَرَامي أعْيُنٌ وَخُدُودُ
تَلَفّتَ حَتّى لَمْ يَبِنْ مِنْ بِلادِكم دُخانٌ وَلا مِنْ نارِهنّ وَقُودُ
وَإنّ التِفَاتَ القَلبِ مِنْ بَعدِ طَرْفِهِ طَوَالَ اللّيَالي نَحْوَكُمْ لَيَزيدُ

وَلمّا تَدَانَى البَيْنُ قالَ لَي الهَوَى رُوَيداً ! وَقالَ القَلبُ : أينَ تُرِيدُ
أَتَطْمَعُ أنْ تَسْلُو على البُعدِ وَالنّوَى وَأنتَ على قُرْبِ المَزَارِ عَمِيدُ
وَلَوْ قالَ لي الغادونَ : ما أَنتَ مُشتَهٍ غَداةَ جَزَعْنا الرّملَ ، قُلتُ : أعُودُ
أأصبِرُ ، وَالوَعْسَاءُ بَيْني وَبَينَكُم وَأعْلامُ خَبْتٍ ؟ إنّني لجَلِيدُ

فنجد النص يكشف للمتلقي عن حوار داخلي بين الشاعر وذاته بدلالة قوله (وإن حديث النفس)، ولهذا هو يسال قلبه عن موطنه (العراق) بعد أن أصبح بعيداً نائياً عنه (أتطلب يا قلبي العراق ..)، ويستمر الحوار الذاتي فيجعل الشاعر قلبه طرفاً آخر يخاطبه ويسمعه ويسمع منه ويشكو إليه لوعة الفراق والحنين لوطنه ويسأله ويستفهمه، وتبقى أمنية الشاعر في حواره العودة واللقاء بوطنه ، ولهذا هو يصرح بذلك بقوله (أعود) مهما كان البعاد ، فحنينه وشوقه إلى وطنه يدفعه لذلك .

وفي نص آخر نجده يعبر عن مرّ إحساسه بتدهور الزمان وتغيره من حوله في قوله[٢٠] : (من الطويل)

لأيّ حَبيبٍ يَحْسُنُ الرّأيُ وَالوُدُّ وأكثرُ هذا النّاسِ لَيسَ لَهُ عَهْدُ
أرَى ذَمّيَ الأيّامَ مَا لا يَضِرّها فَهَلْ دافِعٌ عَنّي نَوَائِبَهَا الحَمْدُ

...

أكُلُّ قَريبٍ لي بَعِيدٌ بِوِدّهِ وَكُلُّ صَديقٍ بَينَ اضْلُعِهِ حِقْدُ

...

فَيا لي مِنْ قَلبٍ مُعنًّى بهِ الحَشا ويا لي مِنْ دَمْعٍ قَرِحٍ بِهِ الخَدُّ
أُريدُ مِنَ الأيام كُلَّ عَظيمةٍ وَمَا بَينَ أضْلاعي لَها أسَدٌ وَرْدُ

...

زَهدتُ وَزُهدي في الحَياةِ لِعلّةٍ وَحُجّةُ مَن لا يَبلغُ الأمَلَ الزّهدُ
وَهَانَ على قَلبي الزّمانُ وأهْلُهُ وَوِجدانُنا والموْتُ يَطلبُنا فَقْدُ
وَأرْضَى منَ الأيامِ أنْ لا تُميتَنِي وبي دُونَ أقرَاني نَوَائبُهَا النُّكْدُ

فالشاعر يتحاور مع ذاته عن طريق طرحه الأسئلة وهو يرى كل من حوله يتغير فهو لا يثق بأحد بدلالة قوله (وأكثرُ هذا النّاسِ لَيسَ لَهُ عَهْدُ) ، فالقريب منه بعيد بوده عنه ، والصديق له في قلبه حقد ، فما كان من هذا إلا الحزن والألم الكامن في قلب الشاعر ، والدمع الذي أقرح الخدود ، حتى أنه زهد بهذه الحياة ولم يعد يطلب منها شيئا وأن لا يموت وبه دون أقرانه نوائب من النكد والحزن . والواضح من الأبيات أن الشاعر استطاع عن طريق حوارية باطنية التعبير عن دواخله ، وإفراغ طاقته العاطفية المتمركزة في جزء من كيانه بعد أن حبسها وأغلق

عليها لتنفجر من الأعماق على نحو انفعالات تقاس من خلالها موهبة الشاعر الفنية ؛ لأن " **الانفعال عامل مهم لإفراز الخلق الفني** "[٢١] ويؤكد ارتباط الحوار بالثورة العاطفية للمبدع ومدى علاقته بالموهبة والقدرة الإنتاجية ، ولاسيما إذا كان حواراً استبطانيّا داخليّا .

ونقف عند أبيات للشاعر يصف فيها دفق مشاعره تجاه محبوبته بحوار ذاتي يقول فيه[٢٢] : (من الخفيف)

إنّ طَيْفَ الحَبيبِ زَارَ طُرُوقاً وَالمَطايَا بَينَ القِنَانِ وَشِعْبِ
فَوْقَ أكْوَارِهِنُّ أنْضَاءُ شَوْقٍ طَرَقُوا بالغَرَامِ دُونَ الرّكْبِ
كُلّمَا أنّتِ المَطيُّ مِنَ الإعْـ ـــيَاءِ أنُّوا مِنَ الجَوَى وَالكَرْبِ
زارَني وَاصِلاً عَلى غَيرِ وَعْدٍ وَانْثَنَى هَاجِراً عَلى غَيرِ ذَنْبِ
كَانَ قَلْبي إليْهِ رَائدَ عَيْني فَعَلَى العَيْنِ مِنّةٌ للقَلْبِ
بِتُّ أَلْهُو بِناعِمِ الجِيدِ غَضّ وفَمٍ بَارِدِ المُجَاجَةِ عَذْبِ
بَلَّ وَجْدي وَمَن رَأى اليوْمَ قَبلي ناقِعاً للغَليلِ مِنْ غَيرِ شُرْبِ
سَامِحاً لي عَلى البعَادِ بنَيْلٍ كَانَ يَلْويهِ في زَمَانِ القُرْبِ
كَانَ عِندي أنّ الغُرُورَ لِطَرْفي فَإذا ذَلِكَ الغُرُورُ لقَلْبي

فالشاعر ينقل في نصه عن طريق الحوار الداخلي مشاعره وأحاسيسه تجاه المحبوبة ويناجي بلسان الضمير من هو في موضع الغائب (الحبيبة) ، حتى يتجاوز الحوار حدود الشخصية ليصل إلى جوهر الروح المتوقدة بشعلة المشاعر والعواطف والمكتسبة لصفة الامتزاج الشعوري ، فالشاعر في حوار الذات المبدعة مع نفسها واستقرائها لعواطفها ومشاعرها المتحدة مع الآخر (طيف الحبيب) الباعث للحوار جسد صوته المنساب من جنبات النص وعلى سطحه ، وقد أسهم حواره الداخلي في الكشف عن طبيعة التأمل لدى المبدع وتدرجه في عملية الاستدلال العاطفي وعلى نحو باطني ، وهذا ما يجعل المتلقي يستبطن عقل الشخصية / المحبوبة ، وتصوير الحالة النفسية ويكشف عن خلجاتها[٢٣] ، وتلك مهمة يسهم في أدائها الحوار الداخلي إذ يصور وعي الشخصية التام بالحادثة ، ويرصد موقفها الحقيقي عمَّا يجري من حولها .

وفي نص آخر للشاعر يكشف الحوار الداخلي عن طبيعة الشاعر التأملية عن الموت في قوله[٢٤] : (من مجزوء الكامل)

مَا للهُمُومِ كَأنّهَا نَارٌ عَلى قَلْبي تُشَبُّ
وَالدّمْعُ لا يَرْقَا لَهُ غَرْبٌ كأُن العَينَ غَرْبُ

لوَداعِ إخْوَانِ الشّبَا بِ مضَتْ مَطاياهم تخُبُّ
فَارَقْتُهُمْ وَالعَينُ عَيْـ ـنٌ بَعدَهم ، وَالقلبُ قلبُ
مَا كُنتُ أَحسَبُ أنّني جَلدٌ على الأَرْزاءِ صَعبُ
أوْ أنّني أبْقَى وَظَهْـ ـرِي بَعْدَ أقرَاني أجَبُّ
لا الوَجْدُ مُنقَطِعُ الوُقو دِ وَلا مَزارُ الدمعِ غِبُّ
مَا أخْطَأَتْكَ النّائِبَا تُ إذا أصَابَتْ من تحبُّ

فنجد الشاعر عن طريق حواره الداخلي يعبر عن تداعيات نفسية وعاطفية من آلام عاشها بسبب فقدان الأحبة ، فالقصيدة في نسيجها العام سلسلة من الوحدات الصوتية ، اعتمدتها البنية الشعرية ، لتعبر عن الأحاسيس المعقدة والمتشابكة التي خضع لها الشاعر لحظة إخراج النص ، فقد عمد الشاعر إلى انتقاء ألفاظ ذات دلالة صوتية معينة توافق الموقف ، بل اختار ونطق بحسب ما فاضت به تجربته الشعورية لحظة إنتاج القصيدة ، على أنها تركت آثارها الموزعة على سطح النص بدلالة التدفق الشعوري المعبأ بنبرة الحزن والأسى الذي أسهم الحوار الداخلي في إخراج صورته للمتلقي ، فضلاً عن ذلك فإن الشاعر اعتمد مجموعة من الأساليب البلاغية التي تحقق تنوعا وثراءً في المعاني وقدرة على التعامل مع تضاريس النص.

المبحث الثاني

الحوار المباشر المتناوب (الحوار الخارجي)

"**وهو ذلك الحوار الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل النص القصصي بطريقة مباشرة** "[٢٥]، ويُعَدُّ هذا النوع من الحوار أوضح أنواع الحوار ؛ لأنه قائم على وجود شخصيات سردية متحاورة ، وترتبط بالحوار المباشر وحدة الحدث والموقف لدفع السرد إلى الإمام مع تماسك الحدث داخل النص السردي[٢٦]. وكذلك يسمى هذا النوع من الحوار بالحوار الخارجي كونه يقوم أساساً على ظهور أصوات لشخصيات متباينةٍ ومختلفة فيما بينها[٢٧] .

وتظهر صورة هذا الحوار عن طريق الطرف الآخر، الذي يبدو على نحو طرف آخر حقيقي، كأن يكون صاحباً أو حبيبة أو غيرهما، لهم وجود مادي أو معنوي وتكمن أهمية هذا النوع من الحوار في النص الشعري بما يحققه الشاعر عن طريقه من طموحات فنية تضفي نبرة وجود أكثر من صوت، أو أكثر من شخصية[٢٨]، إذ يتناول الشاعر عن طريقه موضوعات شتى بغية الوصول إلى هدف معين، إلى جانب تحقيق شيء من الدرامية في نصه ، فيفتح منه طريقاً للسردية،

ويكشف عن إيقاع فكري متناغم حيناً ومتعارضٍ حيناً آخر، ولهذا نجد هذا النوع من الحوار أكثر حضوراً وتأثيراً في النص الشعري، إذ تتفاعل فيه الشخصيات مع الذات الشاعرة فيتبادلان الحديث والحوار معاً[٢٩]. ويمكن ملاحظة ذلك فيما تم اختياره من نماذج شعرية تم تحليلها من ديوان الشاعر الشريف الرضي منها قوله[٣٠] : (من الوافر)

طَرِبْتُ إليَهِ ، حتى قالَ صحَبي لأمرٍ هَاجَ منِكَ البَرقُ داءَ
وَلمْ يَكُ قَبلهَا يَقتَاد طَرْفي وَلا يَمضِي بلُبّي حَيْثَ شَاءَ
خَليلَيّ أطلِقَا رَسَني ، فَإنّي أشَدَّ كُمَا عَلى عَزْمٍ مَضَاءَ
أبَتْ لي صَبْوَتي إلاّ التِفَاتاً إلى الدّمنِ البَوَائِدِ وانثِنَاءَ
فإنَ تَرَيا ، إذا ما سرْتُ شخَصِي أمَامَكما ، فَلي قَلبٌ وَرَاءَ

فنجد النص يبين للقارئ حوارًا يدور بين الشاعر وصاحبيه (خليليَّ) إذ يشاركهما في حديثه النفسي عن ذكرياته الماضية عن طريق استذكار الماضي الجميل الذي لا عودة له بأبيات مفعمة بمشاعر الحسرة والألم وتذكر الأحباب، طالبا منهما أن يطلقا سبيله ، فالموقف قد فرض الرجوع إلى الوراء وتذكر الماضي، ونجد الشاعر في حواره هذا يصف حاله وهو سائر بجسده مع رفيقيه في حين قلبه في هذه الديار القفرة وبقاياها من دمن بوائد وذكريات مرسومة على هذه الدمن، فهي تمثل ذكرياته التي كانت في مرحلة الشباب المنصرم . وقد يتخذ الشاعر من الحوار تقنية يحاور بها الظعن ليعبر عن خلجاته الذاتية وتساؤلاته الحائرة وهذا ما نجده في قوله[٣١] : (من مجزوء الكامل) :

قَدْ قُلتُ للرَكبِ الهجوُ دِ عَلى الأمَاعِزِ وَالإكَامِ
هبُوا ، فقَدْ تَتَيقّظُ الـ أجْدادُ للقَوْمِ النيّـــامِ
زَمّوا المطَيّ وَأحْلسَوا منِهَا عَلى الدَّبرِ الدّوامي

وفي أبيات أخرى يحاور ناقته قائلاً[٣٢] : (من الطويل)

أقُولُ لَها بَينَ الغَدِرَينِ وَالنّـــقَا سَوَادُ الدّجَى بَيني وَبَين النَاصِفِ
خَذِي الجانِبَ الوَحِشيَّ لا تَتَــعَرّضِي لِحَيّ حِلالٍ باللّوَى وَالأصَالِفِ
أمامَكِ ! إنّ الخَوْفَ حادٍ مشُمَرٌ وَما للمَطايَا مثْلُ حادي المـخَاوِفِ

...

وَأشْمَمْتُهَا رَمْلَ الأُنيعِمِ غَدوَةً فَسَافَتْ بأنفٍ مُنكِرٍ غيرِ عارِفِ
أُحَمّلُهَا الشُوْقُ القَديَم ، فَتَنبرِي بأجلادِ عَاني القَلبِ جَمُّ المَشاغِفِ

فنجد الشاعر يحاور ناقته بدلالة الفعل (أقول) واصفا لها الطريق الذي عليها أن تسلكه (خذي الجانب الوحشي)، ويأمرها بعدم التعرض لبعض الأمكنة (حي حلال، الأصالف) ، مستعملا أسلوب الترغيب والترهيب لناقته في ذكره للحادي، فقد ورد أن ذكر الحادي يطرب النوق إلا أن الشاعر في حواره مع ناقته يجعله مما يخيف الناقة " **فالإبل تصر آذانها إذا حدا في آثارها الحادي وتزداد نشاطا وتزيد في مشيها** "[٣٣] ويستمر الشاعر في حواره مع ناقته وهو يرشدها إلى الطريق المقصود الذي تأبى معرفته (أشممتها رمل الأنيعم ... بأنف منكر) ، والواضح من حوار الشاعر أنه أراد أن يعبر عن ذاته في محاولته لاسترجاع الماضي المنصرم (أيام الشباب) بدلالة قوله (أحملها الشوق القديم) ، لذلك هو يلح في حواره معها على قضية الاستذكار فهو يحن ويشتاق لتلك الأيام .

وإذا وقفنا عند حجازيات الشاعر نجد لها نصيبًا في حواره مع الآخر ، فقد كانت مفعمة بالحوار الذي يعكس مشاعر الشوق والحنين لدى الشاعر ، فضلًا عما تميزت به من صلة وثيقة بعنصر التذكر والحنين للماضي ، والمرأة ، فقد كان العامل النفسي والذاتي ، ولحظة الانفعال الوجداني من أهم عناصر الحوار في هذه الحجازيات ، من ذلك قوله[٣٤] : (من الخفيف)

أيّهَا الرّائِحَ المُغِذُّ تَحَمّلْ حَاجَةُ للمُعَذَّبِ المُشْتَاقِ
أقرِ عَنّي السّلامَ أهلَ المصُلّى وبَلاغُ السّلامِ بِعَدَ التّلاقي
وَإذا مَا مَرَرْتَ بالخَيفِ فَاشَهدْ أنّ قَلْبي إليَهِ بالأشْوَاقِ
وَإذا مَا سئُلِتَ عنَيّ فقُلْ : نِضْـ ـو هَوىً مَا أظنّهُ اليَوْمَ بَاقِ
ضَاعَ قَلبي فانشُدْهُ لي بَيَنَ جمَعٍ ومِنىً عندَ بَعضِ تلِكَ الحِداقِ
وَابكِ عَنّي فَطالما كُنتُ مِنْ قَبْـ ـلِ أُعِيُر الدّمُوعَ للعُشَاقِ

فنجد الشاعر رسم الصورة الشعرية في الأبيات على الحوار ، إذْ نجده يحاور الآخر (الرائح المغذ) موكلاً إليه مهمة نقل السلام إلى أحبابه ، موضحاً لهم ما يعانيه الشاعر من الأشواق والهوى والعذاب بسبب الفراق ، فهو يخبره بلوعة فراق الأحبة والشوق لهم ، فالشاعر يشتاق ويتألم لفراق الأحبة ، ولهذا هو دائم التذكر لهم لدرجة البكاء ، ولذا هو يطلب من الآخر أن يبكي بدلًا عنه (وَابكِ عَنّي) ، ولا سيما أنه كان يعير دموعه للعشاق . وفي نص آخر يستعمل الشاعر تقنية الحوار لغرض التذكر في قوله [٣٥] : (من الخفيف)

حيّ بَينَ النَّقا وَبَينَ المُصَلّى وَقَفَاتِ الرّكائِبِ الأنْضَاءِ
وَرَوَاحَ الحَجيجِ لَيْلَةَ جَمعٍ وَبِجَمْعٍ مَجامِعُ الأهْوَاءِ

وَتَذَكّرْ عَنّي مُنَاخَ مَطِيّي بأعَالي مِنًى وَمَرْسَى خِبَائي
وَتَعَمّدْ ذِكْرِي إذا كنتَ بالخيـ ـفِ ، لظبيٍ من بعضِ تلكَ الظّبَاءِ
قُلْ لهُ : هل تُراكَ تَذكرُ ما كا نَ بِبَابِ القُبَيْبَةِ الحَمراءِ
قالَ لي صاحِبي ، غداةَ التقَيْنَا نَتَشاكَى حَرَّ القُلُوبِ الظّمَاءِ
كُنْتَ خبّرْتَني بأنّكَ في الوَجْـ ـدِ عَقيدي ، وَأنّ داءَكَ دائي
مَا تَرَى النّفْرَ وَالتّحَمّلَ للبَيْـ ـنِ فَماذا انْتِظارُنا للبُكَاءِ
لَمْ يَقُلْها حتى انثَنيتُ لمَا بي أتَلَقّى دَمْعي بفَضْلِ رِدائي

فلو نظرنا إلى النص نجد الحوار القائم بين الشاعر ، والآخر (صاحبه) ينهض بمهمة التذكير، إذ يطلب الشاعر من صاحبه أن يتذكر بدلالة الأفعال (وتذكر عني، وتعمد ذكري، وهل تراك تذكر)، فالشاعر يتذكر ماضيه مع النساء الجميلات التي كنى عنها بـ (ظباء الخفيف)، ولهذا نجده يطلب من صاحبه في حواره معه أن يذكره بأيامه الماضية بدلالة الفعل (خبرتني)، فالشاعر في حواره هذا مع الآخر يتذكر الماضي وذكريات الألفة والحب والشباب ، ولهذا جاءت الألفاظ في حواره هذا متأججة كعواطف الشاعر في ماضيه السعيد الذي يلح على تذكره في هذه الأبيات ، فحواره في حجازياته هذه جاء بدلًا عن حواره مع الطلل الذي يرد عند بعض الشعراء ولا سيما أن الطلل هو تجسيد للماضي، الذي يأخذ صفة الإلحاح المستمر على عقل الشاعر[٣٦] . وفي نص آخر يتخذ الشاعر الحوار تقنية لتذكر الماضي والبكاء عليه مع صاحبه في قوله[٣٧] : (من الكامل)

وَشَمَمْتُ في طَفَلِ العَشيّةِ نفَحَةً حَبَسْتْ بِرَامَةَ صُحْبتَي وَرِكَابي
مُتَمَلْمِلِينَ عَلى الرّحَالِ كَأنّما مَرّوا ببِعَضِ مَنَازِلِ الأحْبَابِ
ذكَرَتْ ليَ الأرَبَ القَديمَ من الهوى عَهْدَ الصَبا وَلَيَاليَ الأطْرَابِ
فَبَعَثْتُ دَمعي ثمّ قُلْتُ لصاحبي : إيهٍ دُمُوعَكَ يَا أبَا الغَلاّبِ
في سَاعةٍ لَمّا التَفَتَّ إلى الصِّبا بَعُدَتْ مَسَافَته على الطُّلاّبِ

فلو نظرنا إلى النص نجده يوحي بصيغة حوارية بين الشاعر وصاحبه معتمدة على عملية الاسترجاع في تذكر الماضي بدلالة قول الشاعر (ذكرت لي) فهو يتذكر عهد الصبا والهوى والشباب ، حتى أن دموعه تقف عاجزة ، لذا هو يطلب من صاحبه أن يجود بدمعه ، فالشباب هو رمز الحياة ولذتها وعنفوان الصبوة والفتوة والفروسية والشجاعة [٣٨] ، ولهذا فإن ذكره عند الشاعر ارتبط بالحزن والألم لذلك الماضي السعيد . وفي أبيات أخرى نجده يحاور العزاء قائلاً [٣٩] : (من الطويل)

أَقُولُ عَزَاءُ والجَوَى يَستَفِزهُ وَأعْيَا الأواسِي عَيَّ عَظْمٍ عَلَى وَقْرِ
فَلمَّا أبى إلاّ البُكَاء رَفَدْتُهُ بِعَينينِ كـانا لِلدّمُـوعِ عَلَى قَدْرِ
وَقُلْتُ لَهُ : رُدَّ الجُفُونَ عَلى القَذى وَخَلُ الجَوى يَمْرِي مِنْ الدَّمْعِ مَا يَمْرِي
قَسَمْتُ زَفِيرَ الوَجْدِ بَينيْ وَبَيْنَهُ دَوَالِيْكَ أقْرِيه اللَّوَاعِجَ أوَ يَقْرِي

فنجد الشاعر يحاور العزاء ويلتمسه المواساة إلا أنه لا يستطيع من شدة حزنه التحمل والصبر ، ولهذا كان لابد له من البكاء والدموع ، وفاءً لمن فقدهم .

نتائج البحث

في ضوء ما تم تحليله من نماذج شعرية تخص الحوار توصلنا إلى النتائج الآتية :

١- كان الحوار الداخلي لدى الشاعر أداةً فنيّةً تعمل على كشف الشخصية من الداخل ، فضلا عن لون الحالة الشعوريّة التي تنطوي عليها تلك الشخصية كونها تناجي نفسها من دون الاهتمام بتدخل طرفٍ آخر في ذلك الحديث فالشاعر يطمح فيه إلى إظهار انفعالاته الشعورية حتى تبدو أمام المتلقي على نحو مناجاة خاصة متحررة من القيود الخارجية يذوب فيها الحديث المنطوق مع الآخر ويظهر الحديث الخفي في النفس .

٢- شغل الحوار الخارجي مساحة من نصوص الشاعر ، مؤكداً دوره ومدى إسهامه في السرد في النصوص الشعرية المختارة داخل نسيج النص ، وذلك عن طريق توسل الشاعر به وحسن استعماله له أسلوبياً وتعبيرياً ، ولعل أفضل تلك الأساليب استعماله لأفعال القول الحوارية داخل النص الشعري أو ما يدل على ذلك .

الهوامش

[١] لسان العرب، مادة ح و ر. ص ٢٠٤.
[٢] المعجم الأدبي، جبور عبد النور: ١٠٠.
[٣] ينظر: المصطلح في الأدب الغربي، ناصر الحاتي: ٥٣ ، وينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور : ١٠٠
[٤] البناء الفني للقصة القصيرة في العراق من سنة (١٩٩٠-٢٠٠٠) ، حسنين غازي لطيف الجميلي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠١م : ١٨٩ .
[٤] القصة القصيرة وعناصرها وتطبيقاتها في القصص الصحفية الفلسطينية انموذجًا: ١٧٨.
[٦] المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٦هـ) : ١١٥/١٥ .
[٧] ينظر : الشريف الرضي ، محمد سيد كيلاني : ٥٩ ، وينظر : الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ، عبد الفتاح محمد الحلو : ١٧ – ١٨ .
[٨] ينظر : الشريف الرضي حياته ودراسة شعره : ٢٩٨ – ٣٢٠ ، وينظر : الشريف الرضي ، محمد سيد الكيلاني : ١٣٤ – ١٣٥ .
[٩] ينظر : الكامل في التاريخ : ٧/ ٦٠٨ .
[١٠] ينظر : الحوار في الشعر العربي القديم _ امرؤ القيس أنموذجاً _ : ٦٦ .
[١١] ينظر: نقد الرواية، لطيف زيتوني: ٨٢، وينظر : الحوار في القصة والمسرحية، د. طه عبد الفتاح: ١٦ .
[١٢] تيار الوعي الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: محمد الربيعي : ٤٤ .
[١٣] ينظر : الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، د. سعيد عبد العزيز : ٣٩ .

[١٤] ينظر : تيار الفكر والحديث العربي الداخلي ، ليون سر مليان ، ترجمة : د. عبد الرحمن عبد ، مجلة الثقافة الأجنبية ، بغداد ع٣ ، ١٩٨٣م : ٨٦ – ٨٧ .
[١٥] عناصر القصة في الشعر العباسي ، د. منتصر عبد القادر الغضفري : ١٩٤ .
[١٦] ديوان الشريف الرضي : ١/ ٧١ . الغليل : حرارة الجوف ، الذماء : الحشاشة ، اللمّة : الشّعر .
[١٧] ديوان الشريف الرضي : ٢/ ٧٩ .
[١٨] ديوان الشريف الرضي : ١/ ١٧٣ ، جعجع : صوّت ، النقا : الرمل الملتوي ، المندلي : عود طيب الرائحة زاهية ، قَبا : اسم موضع ، أشرقونا : جعلونا نغصُ .
[١٩] ديوان الشريف الرضي : ١/ ٣٦٣ ، المريخ : رملة في البادية ، زرود : اسم موضع ، عالج : اسم موضع ، تسلو : تنسى ، عميد : معذّب ، الوعساء : الصحراء ، الخبت : الأرض الواسعة .
[٢٠] ديوان الشريف الرضي : ١ / ٣١٣-٣١٥ .
[٢١] النقد الفني (دراسة جمالية فلسفية) ، جيروم ستونليز ، ترجمة : فؤاد زكريا : ٢٥٠ .
[٢٢] ديوان الشريف الرضي : ١/ ١٦٨ .
[٢٣] ينظر : آفاق النص – قضايا أدبية في الشعر والسرد وانقد _ : ١٢ .
[٢٤] ديوان الشريف الرضي : ١ / ١٦٦ . لا يرقا : لا يهدأ ، الغرب : مجرى الدمع ، ظهري أجب : مقطوع ، المزار غب : المزار من حين إلى آخر .
[٢] القصة القصيرة عناصرها وتطبيقاتها في القصة الصحفية القصص الصحفية الفلسطينية أنموذجًا: ١٨١ .
[٢٦] ينظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية: ٢١ – ٢٢ .
[٢٧] ينظر : الشعر العربي المعاصر _ قضاياه وظواهره النية والمعنوية _ : ٢٩٨ .
[٢٨] ينظر : آليات السرد ، د. عبد الهلال ناصر : ١٦٠ .
[٢٩] ينظر : الحوار في الشعر العربي القديم _ امرؤ القيس أنموذجاً _ : ٦١ .
[٣٠] ديوان الشريف الرضي : ٢ / ٢٠ . وهناً : ضعف ، القيون : جمع قين : الحدّاد ، القواضيب : السيوف ، صبوتي : اشتياقي ، البوائد : البائدة ، انثناء : انحناء .
[٣١] المصدر السابق / ٢/ ٣٠٧ ، الهجود : النيام ، الأماعز ، جمع معزاء وهي الأرض الغليظة،الدبر : جمع دبرة وهو قرحة الدابة .
[٣٢] المصدر السابق : ٢/ ٣١ ، الأصالف : الأرض الغليظة
[٣٣] الحيوان : ٤/ ١٩٣ .
[٣٤] ديوان الشريف الرضي : ٢ / ٧٤ ، الرائح : الذاهب مساء ، المغذ : المسرع ، أقر : أوصل، الخيف : اسم موضع ، نضو هوى : صنو هوى .
[٣٥] ديوان الشريف الرضي : ١/ ٣٧. النقا : القطعة المرملة والمحدودبة من الأرض ، المصلى : مكان الصلاة ، الركائب الأنضاء : الإبل الهزيلة ، الخيف : اسم موضع قرب منى ، ظبي كناية عن الحبيب ، عقيدي : معاهدي ، النَّفر : النفور ، البين : البعاد ، بفضل ردائي : بطرف ثوبي.
[٣٦] ينظر : قراءة ثانية لشعرنا القديم : ٥٥ .
[٣٧] ديوان الشريف الرضي : ١/ ١٧٣ ، طّفل العشية : قبل غروب الشمس ، راعه : اسم موضع ، ليالي الإطراب : ليالي اللهو .
[٣٨] ينظر : الزمن في الأدب : ٤٩ .
[٣٩] ديوان الشريف الرضي : ١/ ٤٦١ ، أعيا الأواسي : أعجز المؤاسين ، الوقر : الصدع في العظم ، دواليك : أي مداولة ، أقريه : أطعمه .

المصادر والمراجع

- آفاق النص – قضايا أدبية في الشعر والسرد والنقد _ ، د. فليح مضحي أحمد ، وسلوان علوان العبيدي ، أربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٣م .
- آليات السرد في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد الهلال ناصر، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- تيار الفكر والحديث العربي الداخلي ، ليون سر مليان ، ترجمة : د. عبد الرحمن عبد ، مجلة الثقافة الأجنبية ، بغداد ع٣ ، ١٩٨٣م .

- تيار الوعي الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: محمد الربيعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م .
- الحوار القصصي –تقنياته وعلاقاته السردية–، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- الحوار في القصة والمسرحية : د. طه عبد الفتاح مقلد ، دار الزيتون ، ١٩٧٥م .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، دار الجلي، بيروت ، ١٩٩٢م .
- ديوان الشريف الرضي ، شرح د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، د. سعيد عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠م .
- الزمن في الأدب، هانز ميرهوك، ترجمة: سعد مرزوق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢.
- الشريف الرضي ، محمد سيد كيلاني ، دار الفارجي ، القاهرة ، طرابلس لبنان ، ١٩٨٢م ، (د، ط) .
- الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ، عبد الفتاح محمد الحلو ،دار هجر للطباعة والنشر، القسم الأول ، ط١ ، ١٩٨٦م.
- الشعر العربي المعاصر _ قضاياه وظواهره النية والمعنوية – د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، ودار الثقافة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٢م .
- عناصر القصة في الشعر العباسي ، د. منتصر عبد القادر الغضفري ، عمان ، دار مجدلاوي ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- قراءة ثانية لشعرنا القديم ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١م .
- الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (٦٣٠هـ) ، ت : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٤م .
- المصطلح في الأدب الغربي، ناصر الحاتي، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٨م .

- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩ م .
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٦هـ)، ت : محمد عبد القادر عطاء مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- النقد الفني (دراسة جمالية فلسفية) ، جيروم ستونليز ، ترجمة : فؤاد زكريا ، بيروت ، ط٢،١٩٨٣م .

الأطاريح والرسائل

- البناء الفني للقصة القصيرة في العراق من سنة (١٩٩٠-٢٠٠٠)، حسنين غازي لطيف الجميلي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠١م.
- القصة القصيرة عناصرها وتطبيقاتها في القصة الصحفية الفلسطينية نموذجًا،إبراهيم شهاب أحمد، رسالة ماجستير،كلية الآداب، الجامعة العراقية، ٢٠١٢م .

الدوريات

- الحوار في الشعر العربي القدم _ شعر امرؤ القيس أنموذجاً _ ، أ . د محمد سعيد مرعي ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد ١٤ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٧م .

In the name of Allah the merciful praise be to Allah, Lord of the worlds, and blessings and peace be upon his Messenger of mercy Envoy worlds and unsullied good calories, and his companions Elgar nujaba. After: Sharif Razi, poet, genius of the Arab statement notification, privileged position among poets, being an artist and thinker and human being, and has dealt with many literary studies, and much about the poet and his results, but this study has never been to one, I tried searching I Swallowed stand when the dialog item in his hair after he tallied different colors of dialogue, therefore research subject choice b (dialogue in the poetry of Sharif Razi _ _ analysis) to determine when the dialog types contained in a hair analysis, and find out how presence technology dialog when the poet. The study came on boot and two sections, researcher at boot the concept of dialogue and the poet's life, the first topic addressed indirect dialogue, either the second discourse has included direct dialogue, and in the end the results of the research study